جامعة ديالى

كلية التربية الاساسية

قسم التاريخ

المحاضرة الخامسة

محاضرات عصر الرسالة

م.د. أزهار غازي

٢٠١٥ م ١٤٣٦هـ

معاهدة. بل أن الفقرة الأولى من الكتاب تدفعنا الى القناعة بأن الكتاب ليس معاهدة كما يفهم من كلام ابن اسحاق، وإنما هو إعلان صادر من جانب الرسول ﷺ بصفته رسول الله ﷺ ورئيس دولة المدينة. تقول الصحيفة: «بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمد النبي ﷺ، بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب، ومن تبعهم، فلحق بهم، وجاهد معهم، أنهم أمة واحدة من دون الناس»(٥٠).

إن النص المتقدم يؤكد أن الصحيفة إعلان من جانب واحد، وليس معاهدة أو عقداً بين طرفين، وإن الغاية من هذا الاعلان هي تنظيم العلاقات العامة بين أهل المدينة وبين الرسول ﷺ باعتباره صاحب السلطة العليا فيها. غير أن ذلك لا يمنع من القول أن من المحتمل أن تكون قد سبقت ذلك الاعلان إتصالات ومفاوضات بين الرسول ﷺ وبين مختلف فئات السكان من أهل المدينة إنتهت بتفويض الرسول ﷺ صلاحية إعلان هذا الكتاب أو الصحيفة لتنظيم الأوضاع الدستورية في المدينة.

ب. تاريخ إعلان الصحيفة:

إختلف الباحثون المعاصرون في تحديد تاريخ إعلان الرسول ﷺ للصحيفة، وذلك لأن ابن إسحاق وابن سلام وغيرهما لم يذكروا تاريخ الصحيفة عند إيرادهم لها. فذكر بعض الباحثين أنها قد كتبت في الشهر الخامس من وصول الرسول ﷺ الى المدينة(٥١)، في حين ذهب البعض الآخر إنها قد كتبت قبل معركة بدر دون أن يحدد تاريخ كتابتها بدقة(٥٢)، غير أن باحثين آخرين يميلون الى أنها كتبت بعد معركة بدر(٥٣)، لأن مركز الرسول ﷺ بعد إنتصاره في هذه المعركة كان يؤهله لأن يملي شروطه على أهل المدينة وبخاصة اليهود والمشركون منهم.

وقد إتجه بعض الباحثين الى عدم الموافقة على تحديد تاريخ واحد لكتابة الصحيفة. ومن ثم فقد قاموا بتجزئتها الى عدة صحائف، وحاولوا التوصل الى تاريخ محدد لكل منها حسب قوة مركز الرسول ﷺ وطبيعة العلاقات بين سكان المدينة(٥٤).

---

(٥٠) المصدر نفسه، ق ١، ص ٥٠١:
(٥١) الحديثي: الأمة والدولة، ص ١١٩.
(٥٢) فلهاوزن: تاريخ الدولة العربية، ص ١١.
(٥٣) العلي: الدولة في عهد الرسول، ص ١٠٤.
(٥٤) وات: محمد في المدينة، ص ٣٤٣ - ٣٤٧.

أفسح المجال أمام الرسول ﷺ لتنظيم الجهاد ضد مشركي مكة من خلال السرايا والغزوات، كما سنوضح ذلك لاحقاً.

جـ. تنظيمات الصحيفة:

تقدم الصحيفة صورة للتنظيم القانوني الذي وضعه الرسول ﷺ لتنظيم أوضاع دولة المدينة في مراحلها المبكرة من الناحية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية. وقد شكلّت فكرة إيجاد «أمة واحدة من دون الناس» المحور المركزي الذي دارت حوله مختلف الأحكام والمعالجات في الصحيفة لذا سنتولى دراسة تنظيمات الصحيفة في اطار هذه الفكرة:

١. **الأمة الواحدة وأهل المدينة**: إن كلمة أمة قد وردت في معاجم اللغة العربية في ثمانية معان مختلفة(٥٨). وقد إستعمل القرآن الكريم هذه الكلمة في حوالي ٦٤ آية(٥٩)، وبستة معان مختلفة، كان أبرزها معنيان هما: الجماعة الواحدة التي تعتنق دينا واحداً، واتباعه الذين أرسل الله لهم رسولاً سواء آمنوا به أم لم يؤمنوا(٦٠).

لذا فإن التوصل الى فهم دقيق لمعنى الأمة في الصحيفة يتطلب الاستقراء الدقيق لمعنى النصوص التي وردت فيها. جاء في بداية الصحيفة: «هذا كتاب محمد النبي ﷺ، بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم، فلحق بهم، وجاهد معهم أنهم أمة واحدة من دون الناس»(٦١)، كما جاء فيها حسب رواية ابن إسحاق: «وأن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم، الاّ من ظلم وأثم، فإنه لا يوتغ – أي يهلك – الاّ نفسه وأهل بيته ...»(٦٢). اما ابن سلام فإنه يذكر صيغة هذه الفقرة على نحو مختلف قليلاً الاّ أن دلالة الاختلاف كبيرة فيقول: «وان يهود بني عوف ومواليهم وأنفسهم أمة من المؤمنين، ...»(٦٣).

---

(٥٨) الفيروز آبادي: القاموس المحيط، ج ٤، ص ٧٦؛ رضوان السيد: الأمة والجماعة والسلطة، ص ٤٣ – ٤٤.
(٥٩) المديني: الأمة والدولة، ص ٢٣١.
(٦٠) رضوان السيد: الأمة والجماعة والسلطة ص ٤٤ – ٤٨.
(٦١) ابن هشام: السيرة، ق ١، ص ٥٠١.
(٦٢) المصدر نفسه، ق ١، ص ٥٠٣.
(٦٣) ابن سلام: الأموال، ص ٢٠٤.

ﷺ ، ثم لتتسع وتتحول في عهد الخلفاء الراشدين الى دولة عالمية تضم شعوباً وقبائل متنوعة تعيش جميعاً في إطار النظام الاسلامي.

٢. **التنظيم القبلي والأمة**: لم تحاول الصحيفة الغاء النظام القبلي الذي كان يعيش الناس في إطاره منذ زمن بعيد، بل أنها إعترفت به أساساً تقوم عليه التزامات الافراد الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وحاولت في الوقت نفسه تعديله وتشذيبه ليتفق مع فكرة الأمة الواحدة(٦٦).

وهكذا فقد تألفت الأمة من مجموعة قبائل وعشائر وليس من مجموعة أفراد مستقلين(٦٧)، فنصت الصحيفة على أن الأمة تتألف من المهاجرين من قريش، ومن خمسة بطون من بطون الخزرج وكانت جميعها قد دخلت في الاسلام، وهي، بنو عوف وبنو ساعدة وبنو الحارث وبنو جشم وبنو النجار. ومن بطنين من بطون الأوس، وهما، بنو عمرو بن عوف وبنو النبيت، وكانوا قد دخلوا في الاسلام. أما بقية بطون الأوس، فقد تأخر إسلامها الى ما بعد معركة الخندق، لذا فقد أشارت إليها الصحيفة تحت إسمها العام وهو «بنو الأوس»(٦٨). كما تحدثت الصحيفة عن اليهود بصفتهم حلفاء لبطون الأوس والخزرج وليس بصفتهم المستقلة، كما سنوضح ذلك لاحقاً.

لقد نصّت الصحيفة على بقاء التزامات هذه العشائر على ما كانت عليه سابقاً من حيث تكافل أفراد كل عشيرة في دفع فدية اسراها ودية من يرتكبون جناية من أفرادها(٦٩).

٣. **الأمة وحقوق الأفراد**: نظمت الصحيفة حقوق الأفراد والتزاماتهم في المجتمع. فنصت على ان جميع أفراد الأمة متساوون في حق منح الجوار، لأن «ذمة الله واحدة، يجير عليهم أدناهم»(٧٠). غير ان الصحيفة قيدت هذا الحق بالنسبة للمشركين من أفراد الأمة بقولها: «وأنه لا يجير مشرك مالا لقريش ولا نفسا، ولا يحول دونه على مؤمن»(٧١)، وذلك لأن مشركي قريش كانوا في حالة حرب مع المسلمين.

(٦٦) السيد: الأمة والجماعة والسلطة، ص ٥٤.
(٦٧) فلهاوزن: تاريخ الدولة العربية، ص ١٢.
(٦٨) ابن هشام: السيرة، ق ١، ص ٥٠١ – ٥٠٢؛ الشريف: مكة والمدينة، ص ٣٩٤.
(٦٩) المصدر نفسه، ق ١، ص ٥٠٢ – ٥٠٣.
(٧٠) المصدر نفسه، ق ١، ص ٥٠١.
(٧١) المصدر نفسه، ق ١، ص ٥٠٢.

ان الرجوع الى المصادر المبكرة يقودنا الى التوصل الى ان هؤلاء اليهود الذين أشارت اليهم الصحيفة هم نفس القبائل اليهودية المعروفة في المدينة ولكن الصحيفة أشارت اليهم بصفتهم حلفاء للأوس والخزرج لأنهم كانوا حلفاءهم في المواقع ، ومن أجل ابراز سيادة الأنصار في المدينة على اليهود.

لقد أوضح ابن سلام في شرحه للصحيفة أن اليهود الذين نظم كتاب الرسول ﷺ العلاقة معهم حدثان مقدمه الى المدينة كانوا «ثلاث فرق ، بنو قينقاع ، والنضير ، وقريظة ، فأول فرقة غدرت ونقضت الموادعة بنو قينقاع ، وكانوا حلفاء عبد الله ابن ابي ، فأجلاهم الرسول ﷺ عن المدينة»(٧٨) . كما ذكر الواقدي ان الرسول ﷺ لما قدم المدينة «وادعته يهود كلّها ، وكتب بينه وبينهم أمانا ، وشرط عليهم شروطا ، فكان فيما شرط ألاّ يظاهروا عليه عدوا ، فلما أصاب رسول الله ﷺ اصحاب بدر ، وقدم المدينة بغت يهود وقطعت ما كان بينها وبين رسول الله ﷺ من العهد»(٧٩) ، ثم يتحدث الواقدى عما كان من يهود بني قينقاع واجلاء الرسول ﷺ لهم عن المدينة بعد ان نقضوا العهد(٨٠) .

يتضح من كل ماتقدم ان اليهود الذين شملتهم الصحيفة في احكامها وارتضوا التعامل مع الرسول ﷺ في اطارها هم يهود بني قينقاع ويهود بني النضير ويهود بني قريظة . فما الحقوق والالتزامات التي نصّت عليها الصحيفة في مايتصل بهم .

لقد اعترفت الصحيفة لليهود ومواليهم بحرية ممارسة عقيدتهم فقررت أن «لليهود دينهم ، وللمسلمين دينهم ، مواليهم وأنفسهم»(٨١) . كما ضمنت لهم الحماية والمساواة في المعاملة ، فنصت على انه «من تبعنا من يهود فان له النصر والأسوة ، غير مظلومين ولا متناصر عليهم»(٨٢) .

وقد قررت الصحيفة مبدأ المسؤولية الفردية بالنسبة لليهود فاذا ارتكب أحدهم جريمة او عدوانا على أحد ، فان مسئولية ذلك العمل تقع على عاتقه وحده «.. الاّ من ظلم وأثم ، فانه لايوتغ – أي يهلك – الاّ نفسه ، وأهل بيته»(٨٣) .

---

(٧٨) ابن سلام : الأموال ، ص ٢٠٧ ، راجع ايضا ، البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ٢٠.
(٧٩) الواقدى : المغازي ، ص ١٧٦ .
(٨٠) المصدر نفسه ، ص ١٧٦ – ١٨٠ .
(٨١) ابن هشام : السيرة ، ق ٢ ، ص ٥٠٣ .
(٨٢) المصدر نفسه ، ق ٢ ، ص ٥٠٣ .
(٨٣) المصدر نفسه ، ق ٢ ، ص ٥٠٣ .